قواعد في التعامل
مع الصحابة

دراسة تأصيلية مبتكرة

تأليف
عصر بن محمد النصر

قواعد في التعامل مع الصحابة

تأليف
عصر بن محمد النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله أكمل لهذه الأمة الدين وأتم عليها النعمة ورضي لها الإسلام دينا، وقد تقررت حقائق الدين واستقرت معالمه، في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومواضع الإجماع والعقول السليمة.

وكان مما تقرر القول بفضل الصحابة رضي الله عنهم وعلو مكانتهم وعلى ذلك نشأت أجيال الأمة جيلا بعد جيل .

حتى نشأت ناشئة في الإسلام ، تقول بكفر الصحابة وتدعي ردتهم، فعكرت صفو الأمة وأفسدت جمعهم ، فاقتضى الأمر التنبيه ، خصوصا بعد أن ظهرت بدعة الرفض ونشرت سمومها بين المسلمين وحميت من قبل دولة صفوية باطنية لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة .

لهذا كله وجب على أهل العلم إبراز تاريخ الصحابة والتركيز على

المجهود الذي قـاموا به في حمل أمانة الدعوة إلى الله والجـهاد في سبيلـه ، وان يعرف لهم فضلهم ، ويعرّف بمواقفهم وأعمالهم؛ لنحبب إلى شبابنا التأسي والاقتداء بهم ، ولنربط حاضر الأمة بماضيها العريق ذي التاريخ المشرق .

وقد عملت في هذه الرسالة على جمع قواعد تضبط لنـا التعـامل مع الصحـابة الكرام رضي الله عنهم، من حـيث إثبـات فضائـلهم، ودفـع الشبهات عن تاريخهم، ومعرفة الأحكام المتعلقة بهم.

هذا والله أرجو أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

القاعدة الأولى :

أن دين الله سبحانه وتعالى محفوظ تكفل بـه الله تعالى ، فما اخبر الله به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ لا يتخلف وعـده ولا يتبدل أمره .

وحرف المسألة وسرها انه لا يجوز أن يكون خبر الله في كتابه وعلى لسـان رسـوله ﷺ مما تتعبد بـه الأمة باطلا قـابلا للـتغير والتبديل في نفس الأمر فـانه من حجج الله على عـباده ، فكيف يبين الله مالا يريده ويحجـب عن خـلـقه ما أراده . ويوضحه . أن الله سبحـانه قـد اخـبر برضـاه عن صحابـة نبـيه ﷺ ، ومن رضي الله عنه لا يمكن موتـه على الكفر لان العبرة بالوفاة على الإسلام فلا يقع الرضـا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام ، وأمـا من علم موته على الكفر فـلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه .[1]

قال شيخ الإسـلام ابن تيمـية رحمه الله : "والـرضا مـن الله صفـة قديمة ، فلا يرضى إلا عن عبد عـلم انـه يوافيه على موجبات الرضى ، ومن رضي الله عـنه لم يسخط عليه أبدا ... و قد بين تعـالى في مـواضع من كتابه أن هـؤلاء الذين رضي الله عنهم هم أهل الثواب في الآخـرة، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلـك" [2].

---

(1). (الصواعق المحرقة ص 242)

(2). (الصارم المسلول ص 572، بتصرف)

- من الأصول التي تبنى عليها هذه القاعدة: أن فضائل الصحابة رضي الله عنهم ثبتت في آيات صريحة وأحاديث صحيحة صريحة وهي كثيرة قد وردت بأساليب متنوعة، ودلالات هذه الآيات والأحاديث من قبيل المحكم.

وليتضح هذا الأمر أقول إن ما يحتج به المخالف لأهل السنة في مسألة فضل الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم، يقوم على ما يلي:

أولا : آيات متشابهات غير صريحة الدلالة: مثال ذلك: احتجاج الرافضة بقوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة:59] .

حيث زعموا أن هذه الآية نزلت في الصحابة رضي الله عنهم حيث منعوا آل محمد ﷺ حقهم ! ولا شك أن هذا من التحريف لكلام الله، فإن هذه الآية في سياق الحديث عن قصة بني إسرائيل في سورة البقرة حيث أمرهم الله بدخول القرية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:58].

فالذين ظلموا في الآيـة يراد بهم أولئك القوم الظالمون المبدلون من بني إسرائيل يدل لذلـك سياق الآيات وهو ظاهر من خلال النظم. [1]

ثانيا: روايات وأخبار ضعيفة: باطلة سندا ومنكرة متنا ، و هذا من شـأن أهل البدع حيـث يجعلـون من هـذه الأحـاديـث مستـندا لهـم في تأسيس معتـقداتهم وأفكـارهم ، ويـعدلون عن النـصوص الشـرعيـة الصريحة الصحيحة التي لا يتطرق إليها شك.

مثال ذلـك:

حديث: "أنا مدينة العلم" [2].

وحديث: "النظر إلى علي عبادة" [3].

وحديث: "إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه" [4].

---

(1). (ينظر الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية ، للدكتور صلاح الخالدي ،ص234، بتصرف).

(2). (ورد هذا الحديث بأكثر من لفظ منـها مدينة العلم ومنها مديـنة الحكمة ، وهـو حديث موضوع وضعه بعض الزنادقة لهـدم الدين ، ينظر تعليـقات الدار قطني على المجروحين لابن حبان ص 179 ، ومجموع الفـتاوى لشـيخ الإسـلام 4/ 251-250 ، وتعلـيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي على الفوائد المجموعة للشوكاني ص-348).

(3). (وهو حديـث موضوع (انـظر : الفوائـد المجموعة للشوكـاني ، بتحقيق الشيخ المعلمي ص -358)

(4). (وهو حديث باطل في إسناده عباد بن يعقوب، وهو رافضي، وأخر كذاب (انظر المصدر السابق ص407)

ثالثا : أحاديث وأخبار في فضائل آل البيت والصحابة ومحاسنهم ، حوّلتها وقلبتها أيدي الكذب والتزوير إلى مساوئ ومثالب.

مثال ذلك: قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأهل الردة ، وهو من فضائله ومحاسنه ، وكان مستنده سُنة النبي ﷺ ، قد حفظ الله به الدين.

فعمل المرجفون على تحويل هذه المنقبة إلى سيئة ! وذلك عن طريق بث الشبهات حول هذا الفعل المبارك فزعموا كذبا انه قاتل المسلمين أو قاتل الذين أبوا أن يبايعوه !

وقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن هذا الفعل مع أنه مستند إلى النصوص الشرعية قد فعل بحضرة الصحابة وشاركوا في القتال وكان من ضمن هؤلاء الصحابة علي رضي الله عنه وعن سائر الصحابة. (1)

رابعا : أن يكون أصل القصة والحديث صحيحا ، لكن البعض يزيد عليها شيئا كثيرا.

مثال ذلك : حادثة السقيفة ، فهو في الأصل حديث لا يتجاوز

---

(1). (ينظر البداية والنهاية لابن كثير 437/ 9 ، وانظر في موقف علي رضي الله عنه على وجه الخصوص 446/ 9.ط . دار عالم الكتب).

الصفحة ورواها بعضهم فزاد فيها نصوصا موضوعة تخالف الرواية الصحيحة ، ثم تلقفها بعض المغرضين ، وألف كتابا كاملا ، بقصد الطعن في الصحابة رضي الله عنهم كما فعل الجوهري في كتابه "السقيفة" وغيره ممن ألف الكتب في شأن السقيفة وادخل فيها الأكاذيب.(1)

وعلى هذا الأساس ينبغي التحري فيما يروى عن الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم ، ومما يعين على ذلك إدراك ملامح التصور الإسلامي للتاريخ ، حيث يقوم هذا التصور على أساسين اثنين:

---

(1). (ينظر كتاب: كيف نقرأ تاريخ الآل والأصحاب 34-27) ، قال الدكتور محمد أمحزون:
ومن الوسائل التي استخدمها المبتدعة من الإخباريين لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير الصدر الأول من الصحابة :

1. الاختلاق والكذب .
2. الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة يتزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.
3. وضع الخبر في سياق حتى ينحرف عن معناه ومقصده .
4. التأويل والتفسير الباطل للأحداث.
5. إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق والمحاسن.
6. صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مزعومة .
7. وضع الكتب والرسائل المزيفة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة ، كما وضعت الرافضة كتاب "نهج البلاغة" ونسبته للخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ووضع كتاب " الإمامة و السياسة " ونسب لابن قتيبة .

الأول منها : مراعـاة الحـقائق التي قررهـا الـقرآن ، فمن خـلالهـا يمكـن أن يبـني المسلم اعـتـقاده ، مـن الإيمان بالله وتوحـيده سبحـانه والإيمان بنبيه ﷺ وما جاء به من عند ربه سبحانه .... ومن ذلك معرفة حـق الصحابة رضي الله عنهم ، قـال القـاضي عيـاض رحمه الله : "ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرّهم ومعرفة حقهم ، والاقـتداء بهم ، وحسن الثـناء عليهم ، والاستغـفار لهم ، والإمسـاك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم "[1].

الثاني: مراعاة دوافع السلوك عند المسلمين في صدر الإسلام ، فقد كـانت هذه الدوافع متـأثرة بما عند الله ، تسعى إلى مرضاته ... والمعرفة بحال الصحابة رضي الله عنهم تدل على كمال إيمانهم...."[2].

---

(1). (الشفا للقاضي عياض ص61/ 2)

(2). (ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكـرم ضـياء العـمري ص 33-32/ 1، تحقيـق مواقف الصحابة ص83)

<u>القاعدة الثانية :</u> الحكم بالعدل والقسط .

مما لا ريب فيه أن أصحاب رسول الله ﷺ أحق من عدل فيهم في القول والعمل، فالعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته والثناء على أهله ومحبتهم ، والظلم مما اتفق على ذمه وتقبيحه وذم أهله وبغضهم... والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقا فلا بد أن يكون مع الإنسان عند حكمه أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت. (1)

وعليه فان الحكم على أي طائفة أو قوم يقوم على أصلين:
احدهما: المعرفة بحالهم، و**الثاني**: معرفة حكم الله في أمثالهم ، وهذان الأصلان يقومان على الحكم المنافي للجهل ، فإن الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيرة. (2)

فأما الأصل الأول: وهو المعرفة بحال الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

فإن الله تعالى اختار العرب ، ليتلقوا هذه الدعوة أولا ، ثم يبلغوها إلى الناس كافة فإن ألواح قلوبهم كانت صافية ، لم تكتب عليها كتابات

---

(1). (المنتقى من منهاج الاعتدال ص -332 334 ، بتصرف)
(2). (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ص82)

دقيقة و عميقة يصعب محوها وإزالتها شأن الروم والفرس وأهل الهند الذين كانوا يتيهون ويزهون بعلومهم وآدابهم ، ومدنياتهم الزاهية ، فالعرب لم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خطتها يد الجهل والبداوة ، ومن السهل الميسور حلها وغسلها.

وكان العرب واقعيين جادين أصحاب صراحة وصرامة ، لا يخدعون غيرهم ولا أنفسهم اعتادوا القول السديد والعزم الأكيد ، كما كانوا أصحاب صدق وأمانة وشجاعة ، ليس النفاق والمؤامرة من طبيعتهم .... [1]

فلما جاء الإسلام هذب ونقى واخرج أمة هي خير أمة أخرجت للناس ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران:110] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:2].

مثّل الصحابة رضي الله عنهم في صدر الإسلام لا سيما في عصر

(1). (السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص45 – 47)

الخلفاء الراشدين التطبيق الحقيقي للإسلام عقيدة وشريعة ، فهم كما قال ابن مسعود : ابر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما واقلها تكلفا .

وعلى هذا الأساس ينبغي التحري فيما يروى عن الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم ، فالمعرفة بحالهم تدل على كمال إيمانهم وصدقهم وحسن سريرتهم وفعلهم للخيرات وتضحيتهم بالنفس والنفيس في سبيل الحق ، كل ذلك يرفع منازلهم إلى درجات عالية مما يجعلهم جميعا -من لابس الفتن ومن لم يلابسها- أهلا للاقتداء بهم وأهلا للرواية ، تقبل أخبارهم في أعلى درجات القبول وتوزن أعمالهم بميزان الورع والإحسان ، مما ينفي عنهم ما نسب إليهم من أوصاف سيئة. (1)

---

(1). (قال الخطيب البغدادي رحمه الله : "كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ ، لان عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القران "الكفاية في علم الرواية 1/ 180" .

وقال أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله : "للصحابة بأسرهم خصيصة وهي انه لا يسأل عن عدالة واحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة ...

ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة. ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحسانا للظن بهم ونظرا إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكان الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة ، والله اعلم.

"علوم الحديث ص-294 295")

وفي مثل هـذا أمـر الله المؤمنـين بالرجـوع إلى مـا علموا من إيـمان إخوانهم الذي يدفـع السيئات ، وان يعتـبروا هـذا الأصل العظيم ولا يعبأوا بكلام المتربصين والمغرضين الذي يناقض ويقدح فيه ، قال تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور:12] ، وقـال : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:16].

فزجر الله المؤمنين وحذرهم من مجـارات الشـائـعات التي يتـقولها أهل السـوء في إخـوانهـم المؤمنين، فأمر الله بالرجوع إلى الأمر المعـلوم المتقرر من عـدالة الصحابة وإيمانهم لدفع ما يتوهم ويظن من الشبهات والتوهمات. [1]

- وأمـا مـا يتـعلق بالأصل الـثاني: معرفة حـكم الله فيهم، فيكون الكلام عليه عند الكلام عن حكم اختلاف الصحابة.

---

(1). (ينظر تحقيق موقف الصحابة ص83).

القاعدة الثالثة: مقومات دراسة تاريخ الصحابة رضي الله عنهم:

إن الباحث أو المؤرخ المسلم كثيرا ما يحس بالمرارة أو يصاب بخيبة أمل وهو يتابع تفاصيل العصر الراشدي ، وهو العصر الذهبي في تاريخ الإسلام في حشد من الروايات التي تقدمها مصادرنا القديمة ، فيجد الفرق شاسعا بين المثل والمبادئ الإسلامية وما يعهده عن صحابة رسول الله ﷺ من سلامة المعتقد واستقامة السلوك ، وما كانوا عليه من خلق كريم وإيثار ما عند الله عز وجل ، وبين ما تصوره الروايات التي نقلها بعض الرواة والإخباريين على أنه الواقع التاريخي.[1]

لذلك كان من الضروري عند دراسة التاريخ الإسلامي من توفر مقومات أساسية، وهذه المقومات هي:

---

(1). (ينبغي التنبيه هنا على مسألتين مهمتين، المسألة الأولى: أن كتب التاريخ لا تمثل ابتداء تاريخ هذه الأمة، فقد جمعت في ثناياها الغث والسمين؛ لذلك جاءت هذه الأسس والمقومات في هذه القاعدة لمعالجة هذا الأمر.

المسألة الثانية : أن الباحثين في التاريخ وعلم الرجال وكتاب المقالات والنحل مجمعون على أن الشيعة اكبر من ساهم في تشويه التاريخ الإسلامي ، وكان لهم في تحريفه اليد الطولى ، مابين مؤلف وراوي ومروج للأحاديث البواطل والموضوعات ." ينظر : نزعة التشيع واثرها في الكتابة التاريخية د.سليمان العودة وتحقيق مواقف الصحابة د.محمد أمحزون ص47")

أولا : الوثوق من المصادر ، قال الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله : "ومعيار الأخبار في تاريخ كل امة الوثوق من مصادرها" [1،2]، لذلك كان من الأهمية بمكان عند دراسة التاريخ أن تراعى القواعد الشرعية في التعامل مع المصادر التاريخية ، خصوصا ما يتعلق بصدر الإسلام منها ؛ لان التاريخ الإسلامي جزء لا يتجزأ من الدراسات الإسلامية ، وهو تاريخ امة ذات عقيدة محركة لها ومسيطرة على نشاطها واتجاهاتها .

إن اعتماد القواعد الشرعية في التعامل مع المصادر التاريخية يوجب على الباحث المسلم أن يعتمد ابتداء على المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر ، فهي إلى جانب ذكرها للإخبار تحوي الضوابط الشرعية في الأحكام العادلة على حقب التاريخ ومراحله المتعاقبة.

كما تظهر أهمية الرجوع إلى المصادر الشرعية من خلال الحكم على الروايات الموضوعة أو الضعيفة التي يرويها من لا يوثق به من المؤرخين ، ومن أهل البدع كالشيعة وأمثالهم ممن امتلأت كتب التاريخ من رواياتهم وأخبارهم .

---

(1). (حاشية العواصمم من القواصم ص 79).

(2). (قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وجمهور مصنفي السير والأخبار وقصص الأنبياء لا يميز بين الصحيح والضعيف ، والغث والسمين "(الرد على البكري 15) وانظر علوم الحديث لابن الصلاح ص292.

ومما يؤسف لـه أن كثيرا ممن كـتبوا في التاريخ الإسلامي كانوا من الأدباء أو الإخباريين المغرضين ، فعملوا بقصد وبغير قصد على تشويه صورة الصدر الأول من تاريخ الأمة مما دفع العلماء للتحذير منهم ومن كتاباتهم ، ومن ذلك قول الإمام ابن العربي رحمه الله -بعد ذكر جملة من الأخبار المكذوبة- : "إنما ذكرت لكم هـذا لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسريـن والمؤرخين وأهل الأدب ، بـأنهم أهل جـهالـة بحرمـات الدين ، أو على بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رووا" [1].

هذا وقد ذكـر أهل العلم جملة من المصـادر التي أسهمت في تشويه التـاريخ الإسلامي من ذلك مـا أورده الدكتـور مصطفى مراد في كتابه "الخـلـفاء الراشـدون" حيث قـال : "وقد ابتلى تاريخ الخلفاء الراشدين بأقـلام مسمومة وأفكـار مسعورة حولـت تـاريخ هـؤلاء العـظماء من التفرد والتميز والمثالية إلى القصور والنقص والظلم .

ومن هذه التصانيف التي يجب الحذر من مروياتها وآرائها الخاصة ببني أمية وآل البيت عليهم الرضوان التي ظهرت في عصر الخلافة الراشدة .

1. "الأغاني" ؛ لأبي الفرج الأصـفهاني : فهو كـتـاب سـمر وشعر

---

(1). (العواصم ص 352 ، ونسخة محب الدين ص293)

وطرب ، لا يمت إلى التاريخ بأي صلة ، حشاه الأصفهاني بكثير من الكذب والمجون والشعوبية المقيتة وكذا الطعن في خلفاء الأمة وفي بعض شخصيات آل البيت رضوان الله عليهم .

2. "نهج البلاغة" للشريف الرضي، و هو كتاب له شأن عند الشيعة ، وهو منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد حوى كثيرا من الملح الأدبية والحكم ولا يبعد أن يكون بعض ما فيه من كلام علي رضي الله عنه إلا أن في نسبة جملت الكتاب له نظر وقد راج هذا الكتاب عند أهل السنة في وقت متأخر خصوصا بعد شرح الشيخ محمد عبده -شيخ الأزهر- له بطلب من شيخه الأفغاني جمال الدين وهو من الشيعة .

3. " شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد"

وهو ضعيف عند علماء الجرح والتعديل ، بل الناظر في سبب تأليف ابن أبي الحديد لكتابه هذا ، يجد نفسه ملزما بأن يشك في الكتاب وصاحبه ؛ فقد ألفه من أجل الوزير ابن العلقمي الذي كان سببا في مقتل (مليون) مسلم في بغداد على يد التتار .

4. "تاريخ اليعقوبي"

وهو يأخذ مصادر الرواية بشكل رئيسي من الواقدي وأبي مخنف

لوط بن يحي ، والكـتاب يستعرض تـاريخ آل البيت والصحابة بشكل مرسل لا إسناد فيه ...

وقد عرف بمواقفه العدائية ضد الصحابة رضي الله عنهم قـال الدكتور محمد صـامل السلمي وهـو يتحدث عن الكتاب وهذا الكـتـاب يمثل الانحراف والتشويه الحـاصل في كتابة التاريخ الإسلامي ، وهو مرجع لكـثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التـاريخ الإسلامي وسيرة رجاله".

5. "العقد الفريد" لابن عبد ربه:

وهو كتاب في الأدب والحكاية والقصص لا يسوغ لعاقل أن يجعله مصدرا للبحث في حقب التاريخ.

يقول محقق الكتاب : "فالكـتاب مخلوط صحيحه بـواهيه ، محذوف منه الإسناد والرواة ، واعتمد على مصادر لا يجوز النقل منها" .

6. "الإمامة والسياسة" المنسوب لابن قتيبة :

وهو كتاب منحول مكذوب عليه رحمه الله لعدة أسباب من أهمها :

أ) أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكـروا أو يـنـسبوا لـه أي كتاب بإسم " الإمامة والسياسة ".

ب) أن المؤلف للكتاب يروي عن ابن أبي ليلة بشكل يشعر بالتلقي

عـنه ، وابن أبي لـيلة هذا هـو محمد بن عبد الرحمن بن أبي لـيلة الفقيه القاضي(ت:184)، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا في سنة(213هـ)، أي بعد وفاة ابن أبي ليلة بخمس وستين عاما !!

ج) كما يوهم أن ابن قتيبة قد دخل بعض البلدان كدمشق والمغرب والمعروف عدم دخوله .

وقـد قـام غـير واحد من الباحثين والمحققين ببيان أن هذا الكتاب مكذوب على ابن قتيبة .

7. "مروج الذهب" للمسعودي :

وهو كتاب خـال من الإسناد ومملوء بالخرافـات والحكايـات العجيبة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، فكيف يوثـق بحكاية منـقطعة الإسناد في كتاب قد عرف بكثرة الكذب ".

وقال ابن خلدون : "في كتب المسعودي والواقدي من : المطعن والمغمز ما هو معروف مشهور بين الحفظة الثقات".

8. كتاب" السقيفة " لسليم بن قيس:

وصاحبه شخصية مجهولة ، والطريق إلى كتابه ضعيف عند الجميع ... ، وفيه من التشويه لآل البيت الشيء الكثير .

9. "الفتنة الكبرىٰ" لطه حسين.

10. "علي إمام المتقين" لعبد الرحمن الشرقاوي.

11. "عثمان بن عفان لمحمد رضا".

12. "عبقرية علي للعقاد" و "معاوية للعقاد".

فضلا عن كتب الرافضة والخوارج والمعتزلة في هذا الشأن ، كما يجب الحذر من روايات خاصة متعلقة بهذا الموضوع وردت في كتب التاريخ المعتمدة كتاريخ الطبري ، أهمها : روايات وأخبار أبي مخنف والكلبي ونصر بن مزاحم ، وهؤلاء شيعة متروكون ولا تقبل رواياتهم ... " [1].

<u>ثانيا</u> : اعتبار صحة الأسانيد ونقد المرويات ، وهذه هي طريقة أهل الحديث مفخرة الأمة وحراس حدودها ، فلا يقبلون إلا الأخبار المسندة علىٰ وفق شروطٍ علمية محكمة ، حيث يعتبر الإسناد في المنهج الإسلامي العمود الفقري للخبر ، فهو الوسيلة لنقد الأخبار ، إذ بمعرفة النقلة تعرف قيمة الخبر ، والإسناد المتصل الصحيح من

(1). (ص6) ، وانظر: كتاب كيف نقرأ تاريخ الآل والأصحاب ص 92-79 ، نزعة التشيع وأثرها في كتابة التاريخ، تحقيق مواقف الصحابة ص 38.

خصائص الأمة الإسلامية ، وميزته أنـه يعطي طمأنينة وثقة بما يتم نقله عن هذا الطريق ، إذ يمثل شهادة مجموعة من الرجـال العدول الثـقات الضابطين مما يؤكد صحة الخبر المنقول وضبطه .

وميزة الإسناد أيضا أن الروايات المسندة أفضل بكثير من الروايات والأخبار غير المسندة، لأن فيها ما يدل على أصلها ، ويمكن التحكم في نقدها وفحصها بصورة أفضل من الأخـبار الخـالـية من السند ، لذلـك كـان من أفـضل مصادر الـتاريخ والسـير ، كـتب السنـن والجوامـع، كصحـيح الإمـام أبي عـبد الله البخاري وصحيح الإمـام مسلم وبقية الكتب الستة .

ومما يظهر أهمية الإسـناد ، هو تنوع الروايـات التاريخية ، فمن هذه الروايـات مـا يـعامل معاملـة الحديث وتجري عـليه مقايـيسه ومعايير قبوله ، وهي كالتالي : فإن كان المروي متـعلـقا بالنبي ﷺ أو بـأحد من الصحابة رضي الله عنهم فيجب التدقيق في رواته والاعتناء بنقدهم .

ويلحق بهذا ما إذا كان الأمر متعلقا بثلب أحـد من العلماء والأئمة ممن ثبتت عدالتهم أو تنقصهم وتدليس حالهم على الناس " لان كل من ثبتت عدالته لا يقبل جرحه حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غـير جرحه " (1).

(1). (ينظر العواصم من القواصم ، تعليق محب الدين الخطيب ص170 ، وتحقيق مواقف =

بنـاء على ذلك إذا كـانت الرواية الـتاريخية لا تتعلق بإثـبات أمـر شرعي أو نفيه سواء كان لذلك صلة بالأشخاص -كالصحابة رضوان الله عليهم- أو الأحكام -الحـلال والحـرام- فان الأمر عندئذ يختلف، فيقبل في هذا الباب من الروايات مالا يقبل في سابقه.

وقد بين ابن حجر الهيتمي رحمه الله اثر ترك هذه الطريقة ، كما حذر من طريقة الرافـضة حيث قـال : "فتأمل ذلك -يشـير إلى آيـات الثناء عـلى الصـحابة رضي الله عنهم- فـإنك تنـجو من قبـيح مـا اخـتلقت الرافـضة عليهم مما هم بريئون منه ... ، وممـا يرشدك إلى أن ما نسبوه إليهم كـذب مختلق عليهم أنهم لم ينقلوا شيئا منه بإسناد عـرفت رجاله ولا عدلت نقلته وإنما هو شيء من إفكهم وحمقهم وجهلهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى ، فإياك أن تدع الصحيح وتتبع السقيم ميلا إلى الهوى والعصبية ..." [1].

ثالثـا : ومن مقومـات دراسة تـاريخ الصحابة ، النظر إلى سجايـا وسيرة المخبر عنه ، وهي طريقة أصحاب التاريخ حيث يعرضون الخبر على سجايـا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب إليه ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا . [2]

= الصحابة من الفتنة ص71-70).

(1). (الصواعق المحرقة ص30-29).

(2). (العواصم من القواصم تعليق الخطيب ص170).

إن تحقيق الروايات التاريخية في هذا الباب تقوم على استقراء آيات الكتاب وأحاديث المصطفى ﷺ فهي اصدق شاهد على أحوال الصحابة رضي الله عنهم ، فمن خلالها عرفنا صدقهم وجهادهم وتضحيتهم وإنفاقهم وغير ذلك من صفاتهم وسجاياهم الحميدة.

وهذا الأمر صدقه الواقع، فقد نقلت لنا كتب التاريخ والسير دلائل صدقهم وإيمانهم ووقائع جهادهم ما لم يعرف في تاريخ امة من الأمم.

وتقرير هذا الأمر لا يعني القول بعصمة الصحابة رضي الله عنهم ، بل إن الخطأ ثابت وهو مقتضى الجبلة البشرية ، لذلك كان من الضروري عند الحكم في هذا الباب اعتبار الأمور التالية:

أولا: إدراك الدوافع الحقيقية لتصرفات الناس في صدر الإسلام ، وعلاقة هذه الدوافع بالحوادث والعلاقة الإنسانية والاجتماعية ونظم الحكم وسياسة المال ، وطرق التشريع ووسائل التنفيذ، في إطار المبادئ والمفاهيم والقيم الإسلامية.

إن المتأمل في دوافع السلوك في المجتمع الإسلامي الذي تهيمن عليه العقيدة –خاصة في صدر الإسلام– يرى أنها تتأثر كثيرا بالتطلع إلى ما عند الله واستصحاب هذا الأمر مما يعين على دفع كل شبهة تتعلق بهم.

ثانيا : معرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام وتزكية أرواحهم وتثقيف عقولهم وإخلاص عقيدتهم وتوجيههم إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة ، يجعل من البدهي التسليم بأن الدافع لهم في مشاركتهم في الفتوح ونشر الإسلام والتمكين له والتنظيم للمناطق المفتوحة والاجتهاد في حل كل المشاكل والأقضية المستجدة وفق تعاليم الإسلام ، لم يكن دافعا دنيويا ولا رغبة في التسلط والاستحواذ ولا طمعا في خيرات البلاد المفتوحة ولا فرارا من شظف الحياة في الصحراء [1] بل كان وازعا دينيا وأخلاقيا يحث على فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثالثا : من المهم أن نعلم أن بعض الأحداث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها ، فلا نحكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأية ظروف يعيش فيها غير أصحاب تلك الإحداث ، لان الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية ، وبالتالي تكون النظرة إلى هذه الوقائع لم تستكمل وسائل الحكم الصحيح فيصدر غير مطابق للمواقف .

إذا تقرر هذا الأمر، تبين لنا حال ما وقع بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم خصوصا بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وما جرى في فتنة الجمل وصفين، وغيرها من الأحداث.

(1). (السيرة النبوية الصحيحة 1/ 34-33)

القاعدة الرابعة : في بيان الصحبة وأحكامها :

أقام الله تعالى لرسوله ﷺ أصحابا أمناء ، وعلماء نبهاء آمنوا بدعوته ، وفادوه بأنفسهم وأرواحهم وأموالهم وأولادهم وديارهم وأوطانهم ، وخالط حبهم له قلوبهم ، وبذلوا في خدمته ونصرته النفس والنفيس ، وتلقوا عنه ﷺ سنته وأحاديثه وحفظوها وضبطوها ووعوها.

إن معرفة الصحابة ومنزلتهم أمر متقرر في نفوس المسلمين وهو أشهر من أن ينبه عليه أو يشار إليه ولولا أن العهد قد طال وبدأت تهب ريح الفتنة من قبل المشرق وبعض الشمال ؛ لما احتاج الأمر إلى تنبيه.

وعلى كل حال فتقرير هذه القاعدة يكون ببيان أمرين :

الأول: المدلول الشرعي للصحبة:

إذا ليس المراد هنا الكلام على تعريف الصحبة ابتداء وإنما بيان المدلول الشرعي لها، حيث لاحظ العلماء عند تعريفهم للصحابي أمورا شرعية من خلال استقراءهم لآيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ وأخبار السير والتاريخ، فمن هذه الأمور:

- الإقامة مع النبي ﷺ وقد اختلفوا في مدة هذه الإقامة.
- صدق العمل وبذل النفس متمثلا بالجهاد والغزو مع النبي ﷺ والهجرة.
- رؤية النبي ﷺ ولقياه .
- رواية حديث أو أكثر عنه ﷺ.

فالناظر فيما ذكره أهل العلم في معنى الصحبة يدرك أن لفظ الصحبة له مدلول شرعي ؛ لذلك ترتب عليه أحكاما شرعية ؛ كالعدالة وقبول أخبارهم وحكم سبهم والتنقص من قدرهم .

وأما الراجح في معنى الصحبة والصحابي والذي استقر عليه الأمر هو **أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك، ولو تخلل ذلك ردة.** [1]

قال الإمام أحمد رحمه الله : "كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ونظر إليه".

---

(1). (ينظر الكفاية للخطيب البغدادي 1/ 193-191 ، مقدمة ابن الصلاح 293)

وقـال أبو محمد ابن حزم رحمه الله : "كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة، وسمع مـنه ولو كـلمة فما فوقها ، أو شـاهد منه عـليه الصـلاة والسلام أمر يعيه".

وقـد دل على هـذا المعنى مـا ورد عن النـبي ﷺ حيـث قـال عند قدومه على المقبرة : "السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شـاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أولسنا إخوانك ؟ قال: أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين يأتون بعدي"[1].

وعنه ﷺ : "لاتزالون بخير مـا دام فـيـكم من رآني وصاحبني ، والله مـا تـزالون بخير مـا دام فيكم من رأى مـن رآني وصاحـب من صاحبني" [2].

وعنه ﷺ : "يغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب النبي ﷺ ؟" ، وفي لفظ : "هل فيكم من رأى النبي ﷺ ؟" [3].

---

(1). صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ح607.

(2). ينظر السلسلة الصحيحة ، حديث رقم :3283 .

(3). صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ، ح2682. ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ، ح4597.

فقد علق النبي ﷺ الحكم بصحبته وبرؤيته. وهـذا الأمر لا يثبت لأحد غـير الصحـابة ، ولو كانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحـد من أصحاب النبي ﷺ ، وهذا يعود لشرف منزلته ﷺ ، ولان لرؤيـة نـور النبوة قوة سريـان في قلب المؤمن ، فتظهر أثارها على جوارح الرائي في الطاعة والاستقامة. (1)

وعلى كل حال فالتعميم بتعريف الصحابي نظرا إلى أصل الصحبة وأما تفاوت من يشملهم هذا الاسم في الفضل والدين وسـائر خصال الخير، وكذا عدم مسـاواة جميعهم في جميع الأحكام المتعلقة بهم ، فهذا وراء ذلـك.

وهذا التفصيل المتقدم يفسر لنا ما يوجد في كلام بعض أهل العلم من حـصر الصحبة بمثل السابـقين الأولين من المهاجـرين والأنـصار فمرادهم الصحبة الخـاصة ، وهذا هـو المـتعين الذي دل عليه استقراء الأدلة الشرعية .

<u>الأمر الثاني</u>: اصطفاء الصحابة واختيارهم:

مسألة الاختـيار قـد دل عليها الكتاب والسنة بآيـات وأحـاديث كثيرة، كما دل عليها العقل السليم لمن تدبر واقع البعثة ومراحلها.

(1). (ينظر الكفاية 192/1 ، لمحات في تاريخ السنة ، لأبي غدة 49)

ومن الأدلة العقلية ما يلي :

- إن المتأمل في كتب السير والتاريخ يعلم يقينا أن الله تعالى قد اختار لنبيه ﷺ الأرض التي يولد وينشأ فيها ، واختار له من الناس من يعوله ويتولى أمره ، وهذا مصداق دعوة إبراهيم وبشرى موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

كما اختار الله لنبيه ارض هجرته ووصفها له بل وصفت قبل ذلك في التوراة والإنجيل، وهذا من لطف الله بنبيه الكريم محمد ﷺ.

وقد تقرر عند العقلاء من بني ادم أن الدعوة تثمر ولو كانت في غير هذه الأرض ، والأهم من الأرض هو من يحمل هذه الدعوة ويوصلها للناس كافة ، فكيف يعقل أن يختار الله الأرض لنبيه ولا يختار له الأصحاب الذين يعينونه على حمل هذه الأمانة .

ثم كيف يكون للأرض منزلة وفضل ولا يكون لصحابته منزلة وفضل . [1]

وأما **المقدمة الثانية** فإن هذه الأمة هي امة دعوة وجهاد قد بين الله لها في كتابه الكريم طريقها الذي ينبغي لها أن تسير فيه ، وجعل مقياس الأفضلية والتميز بقدر ما تحققه من أمره. والناظر في تاريخ

(1). (ينظر مقدمة الشيخ صالح الدرويش لكتاب الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام).

هـذه الأمـة وأجيـالها المـتعاقبة يعلم يقينا أن مراد الله تـعالى وأمره لم يتحقق بكماله وتمامه كما تحقق في الجـيل الأول من هـذه الأمة ؛ لذلـك خاطبهم الله بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران:110]. (1)

المقدمة الثالثة: وهي مكملة للمقدمة الثانية:

يمـثل جـيل الصحـابة رضي الله عنهم الجـيل الأول من الدعـوة الإسلامية ويكونون اللبنة الأولى التي قام عليها الدين الخاتم.

وبالتالي فهم بالضرورة يتمتعون بالخواص التي تتمتع بها الأجيال الأولى من الدعوات العملاقة وتتصف بها اللبنات الأساسية فيها .

فالمستقرئ لمسيرة التاريخ السحيق لنشوء الدعوات الدينية يجد أن النماذج الأولى التي انبـنت عليها تتصف بخـواص لا توجد في غـيرها من الأجيال اللاحقة .

ومن بين تلك الخواص خاصيتان:

الأولى : الـصـدق الإيـماني ، فالجيل الأول عـادة يـكون أصـدق

---

(1). (ينظر تحقيق مواقف الصحابة ص90)

الأجيال في الأخذ بمبادئ الدعوة وأعمق إيمانا بأصولها وأشد تفانيا في الأخذ بقيمها.

الثانية: العمق الإدراكي، فالجيل الأول عادة يكون أوسع الأجيال إدراكا لحقيقة الدعوة وأعمق تصورا لأحكامها وأكثر خبرة بتفاصيلها.

فإذا أضيف إلى هذا تلك النقلة التي شعر بها أصحاب ذلك الجيل ومعايشتهم لمؤسس الدعوة وقائدها يعلم أفضلية الجيل الأول من كل دعوة.

وإذا كان هذا الأمر عاما تشترك فيه كل الأجيال الأولى من كل دعوة ، فان الصحابة رضي الله عنهم يفوقون غيرهم في تلك الخواص، فهم أصدق جيل عُرف في التاريخ وهم أعلم جيل عُرف في التاريخ وقد أكد النبي ﷺ هذا الأمر بقوله : "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ، والخيرية هنا مطلقة تشمل كل خيرة ، الخيرة الدينية والخيرة العلمية. (1)

- وأما **دلالة الكتاب والسنة على اصطفاء الصحابة** واختيارهم:
قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ

(1). (من مقال : المدخل المنهجي في التعامل مع جيل الصحابة، سلطان العميري) بتصرف.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:110].

قال القرطبي رحمه الله : "وإذا ثبت بنص التنزيل أن هذه الأمة خير الأمم ، فقد روى الأئمة من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ، وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدهم ، والى هذا ذهب معظم العلماء ، وان من صحب النبي ﷺ ورآه ولو مرة في عمره أفضل ممن يأتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل" (1).

وقال ﷺ: "بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه" (2).

وعنه ﷺ : "خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. قال عمران بن حصين : فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا ثم أن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن" (3).

---

(1). (الجامع لأحكام القرآن:4/ 171 ، وتفسير ابن كثير 2/ 749).

(2). (البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ح 3557).

(3). (البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ح 3650.

ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ح 2535)

قال الإمام النووي رحمه الله: "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ ، والمراد أصحابه.
وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه" [1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : "إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئا" [2].

إذا فقد اصطفى الله تعالى هؤلاء الأصحاب واختارهم من بين سائر الناس لحمل دينه وتبليغ رسالته ونصرة نبيه الكريم ﷺ وهذا أمر في غاية الوضوح لمن تدبره والله اعلم.

---

(1). (المنهاج شرح صحيح مسلم ، 1820 طبعة المجلد ، دار المعرفة).
(2). (المسند 31 / 505 ، ح 3600، صححه الشيخ أحمد شاكر . وانظر مجمع الزوائد 1/ 428 ،ح 832 ، وقال الهيثمي : رجاله موثوقون).

- الصحابة الطلقاء:

لقد انتشر عند أتباع الطائفة الشيعية على اختلاف فرقهم اتهام الطلقاء من أبناء مكة بالكفر وأنهم اسلموا أو اظهروا الإسلام خوفا من القتل وشوكة المسلمين، وان عدائهم لآل البيت ! استمر حتى بعد موت النبي ﷺ وان كان ما تقدم من الكلام يرد هذه الدعوة إلا أني سأفصل فيها ليتضح زيف هذه الدعوة بإذن الله تعالى.

لقد تواتر عند الخاصة والعامة من المسلمين إسلام أهل مكة وبقاؤهم على الإيمان ، وكان على رأسهم سادة مكة كأبي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية والحارث بن هشام وغيرهم ، وأما تسميتهم بالطلقاء لا يعني ذمهم ، فإن النبي ﷺ لما دخل مكة ومكنه الله منهم ، أعلن إطلاقهم فهو الأخ الكريم وابن الأخ الكريم وهذا اقرب إلى المدح منه إلى الذم ، كيف لا وهم سادة العرب ومادة الإسلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وكان هؤلاء المذكورون -يقصد سادة مكة- من أحسن الناس إسلاما ، وأحمدهم سيرة ، ولم يتهموا بسوء ، ولم يتهمهم احد من أهل العلم بنفاق ، كما اتهم غيرهم ، بل ظهر منهم من حسن الإسلام وطاعة الله ورسوله ، وحب الله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله ، وحفظ حدود الله ، ما دل على حسن

إيمانهم الباطن وحسن إسلامهم ومنهم من آمره النبي ﷺ واستعمله نائبا له ، كما استعمل عتاب بن أسيد أميرا على مكة نائبا عنه ، وكان من خيار المسلمين ..." [1].

وهذا الذي أجمله شيخ الإسلام قد شرحه وبينه الشيخ المعلمي رحمه الله في كتابه "الأنوار الكاشفة" وسأذكر الكلام بطوله لنفاسته حيث حرر رحمه الله المقال وبين الحال ، قال رحمه الله : "وأما مسلمة الفتح فان الناس يغلطون فيهم يقولون : كيف يعقل أن ينقلبوا كلهم مؤمنين بين عشية وضحاها ، مع أنهم إنما اسلموا حين قهروا وغلبوا ورأوا أن بقاءهم على الشرك يضر بدنياهم.

والصواب أن الإسلام لم يزل يعمل في النفوس منذ نشأته ، ويدلك على قوة تأثيره أمور :

الأول: ما قصه الله تبارك وتعالى من قولهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [الزخرف:26] ، وقولهم ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ... ﴾ [الفرقان:42].

الثاني: ما ورد من صدهم للناس أن يسمعوا القران حتى كان لا

(1). (مجموع الفتاوى 285-278).

يرد مكـة وارد إلا حذروه أن يسمع إلى النبي ﷺ، ومن اشتراطهم على الذي أجار أبا بكر أن يمنعه من قراءة القران بحيث يسمعه الناس.

الثالث : -وهو أوضحها- إسلام جماعة من أبناء كـبار رؤسائهم ومفارقتهم آبـاءهم قديما ، فمنهم عمرو وخالد ابـنا أبي دحـيمة سعيد بن العـاص ، والولـيد بن المغيرة ، وأبـو حذيفة بن عـتبة بن ربـيعة ، وهشام بن العاص بن وائل وعبد الله وأبو جهل ابـنا سهيل بن عمرو وغيرهم. وآبـاء هؤلاء هم أكـابر رؤسـاء قـريش وأعـزهم وأغناهم ، فـارقهم أبـناؤهم واسلموا. فـتدبر هذا ، فـقد جرت عادة الكتاب إذا ذكـروا السـابقـين إلى الإسلام ذكـروا الضعـفاء فيتوهم الـقارئ أنهم اسلموا لضعفهم وسخـطهم على الأقـويـاء وحبهم للانتقام منهم على الأقل لأنه لم يكن لهم من الريـاسة والعز والغنى ما يصدهم عن قبول الحق وتحمل المشاق في سبيله.

والحقيقة أعـظم من ذلك كما رأيـت ، إلا أن الرؤسـاء عـانـدوا واستكبروا وتـابعهم أكثر قومهم مع شدة تأثرهم بالإسلام ، فكان في الشبان من كـان قوي العزيمة فأسـلموا وضحوا بريـاستهم وعـزهم وغناهم، متقبلين ما يستقبلهم من مصاعب ومتاعب ، وبقي الإسلام يعمل عمله في نفوس البـاقين فلم يـزل الإسلام يفشو فيهم حـتى بعد هجرة المصطفى ﷺ . ثم لمـا كان صلح الحديبية وتمكن المسلمون بعده

من الاختلاط بالمشركين ودعوة كل واحد قريبه وصديقه فشا الإسلام بسرعة وأسلم في هذه المدة من الرؤساء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم ، والإسلام يعمل عمله في نفوس الباقين .

ونستطيع الجزم أن الإسلام كان قد طرد الشرك وخرافاته من نفوس عقلاء قريش كلهم قبل فتح مكة ، ولم يبق إلا العناد المحض يلفظ أخر أنفاس ، فلما فتحت مكة مات العناد ودخلوا في الإسلام الذي كان قد تربع في نفوسهم من قبل ، نعم بقي اثر في نفوس بعض الرؤساء ، فبسط لهم النبي ﷺ التأليف يوم فتح مكة وبعده وآثرهم بغنائم حنين ، ولم يزل يتحراهم بحسن المعاملة حتى اقتلع البقية الباقية من اثر العناد .

ثم كان من معارضة الأنصار بعد النبي ﷺ لقريش في الخلافة واستقرار الخلافة لقريش غير خاصة ببيت من بيوتها ، وخضوع العرب لها ثم العجم ، ما أكد حب الإسلام في صدور كل قريش، وكيف لا وقد جمع لهم إلى كل شبر كانوا يعتزون به من بطحاء مكة آلاف الأميال ، وجعلهم ملوك الدنيا والآخرة ومما يوضح لك ذلك أن الذين عاندوا إلى يوم الفتح كانوا بعد ذلك من أجد الناس في الجهاد ، كسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وعمه الحارث ويزيد بن أبي

سفيان" [1].

وعلى كـل حال فان الواقع يثبت هذه الحقيقة، فـإن كثيرا ممن ذُكر من سـادة مكـة مـاتوا في سـاحـات الجهاد ومقـارعة الفرس والروم ، وكانوا من اشد الناس في حروب الردة.

- الصحابة والنفاق:

مما يشيعه المرجـفون ممن مُلئت قـلوبهم حقدا على أصحاب النبي ﷺ أن مـا ورد في الكـتاب والسـنة فيما يتعلق بالمـنافقـين يـنطبـق على الصحابة الـكرام وان فيهم منافقين متسترون وهذه دعـوة بـاطلة قـام الدليل على خـلافـها ، وليتضح هـذا الأمر سـأذكر جمـلة من الأصول يتبين من خلالها زيف هذه الدعوة .

أولا: أن الصحبة -كما تقدم- لفظ له مدلول شرعي فلا يمكن أن ينطبق على من وصف بنفاق .

وهذا الأصل متقرر في كتاب الله وسنة النبي ﷺ، فان الناظر فيهما يجد تمايزا بين الصحابة والمـنافقين ، ففي حين بـين الله صفات المنافقين في سورة بـراءة ، وتخـلفهم عن الخـروج مع النبي ﷺ إلى غـزوة تبوك واخـتلاقهم الأعـذار بين سبحـانه تـوبته على الثلاثة الذيـن خـلفوا ،

(1). (ص 367 - 369).

وقـد جـاء في السنة وصفهم بالصدق إذ عـمدوا إلى بـيـان حـالهم ولم يفعلوا كما فعل المنافقون من كذب وتزوير .

كذلـك في حادثة الإفك، حيث توعد الله تعالى رأس المنافقين الذي تولى كِـبر هذه الدعوة بالعذاب العظيم ، بينما حـث المؤمنين والمؤمنات على ظن الخير بأنفسهم ونهى أبا بكر أن يمنع عطـاءه عن ذلـك المهاجر في سبيل الله ممن خاض فيما خاض به الناس .

ثانيا : أن الإيمان الذي هـو جـوهـر الصحبة ولبها ، وضده الكفر الذي هو جـوهر النفاق وأساسه لفظان يشتملان على معاني وأوصاف فلا يطلقان إلا على من تحققت به هذه المعاني والأوصاف . ويوضحه:

ثالثا : أن النفاق والمنافقين ذكرا في الكتاب والسنة بصورة مبهمة، فلا سبيل إلى تعيين احد ووصفه بالنفاق إلا باتصافه بصفاته.

- من صفات المؤمنين (الصحابة رضي الله عنهم) :

الهجرة والنصرة ، الفلاح ، الصدق ، الإنفاق ، الشدة على الكفار، الرحمة بينهم ، كثرة التعبد لله تعالى ، وصفاتهم رضي الله عنهم أكثر من هذا فمن نظر في سـيرة القوم بعلم وبصيرة ومـا منّ الله عليهم بـه من الفضائل ، علم يقيـنا أنهم خـير الخلق بعد الأنبياء ، لا كـان ولا يكون

مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله .

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 8-9].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: 29].

والآيات في بيان صفاتهم كثيرة كما في سورة براءة وسورة الفتح وغيرها من السور ، وقد تحققت هذه الصفات في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فهم الذين هاجروا وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم

على الموت في أكثر من موطن وعلى أيديهم فتحت البلاد ودخل الناس في دين الله أفواجا. [1]

وأمـا **صفات المنافقين**، فقد بينها الله في كتابه أحسن بيان ، منها :

– عـدم الخروج للـجهاد، وهـذا في غـالب أحـوالهـم، وإلا فـقد يخرجون نـفاقا أو إرجافا أو غير ذلـك، وهو في القليل النادر.

قـال تـعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[التوبة:92-93].

– ومن صفاتهم: تظاهرهم بالإيمان أمام الصحابة عند حصول أي ريـب، قـال تـعالى: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾[التوبة:56].

– ومنها :أعمالهم المشينة التي فضحوا بها ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادًا لِّمَنۡ

(1). (ينظر: الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام ص151، لعبد الله الشايع . براءة الصحابة من النفاق لمنذر الأسعد 22،57 . حقبة من التاريخ ص172)

حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[التوبة :107].

- ومنها التكاسل عن الصلاة وقلة ذكر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[النساء:142].

وصفاتهم أكثر من هذا بكثير ، فقد أظهرها الله على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم كما تكفل بفضحهم وكشف سرهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم و منهم ، حتى ظنوا أنها لن تبقى أحدا منهم إلا ذكر فيها".

ومع كل ما تقدم فإن أعداد المنافقين كانت قليلة ، بل كانت تتناقص في كل وقت ، حيث تاب كثير منهم ، بعد أن توعدهم الله بإغراء النبي ﷺ بهم وبإخراجهم من المدينة.

القاعدة الخامسة: أحكام الاختلاف بين الصحابة :

على الرغم من منزلة الصحابة الرفيعة وعلو مكانتهم إلا أنهم بشر وهذه البشرية تقتضي أن يقع منهم الخطأ ، فلا بد لمن أراد أن ينظر في تاريخ الصدر الأول من هذه الأمة من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس في تلك الفترة ، وعلاقة هذه البواعث بالحوادث ، كما ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الأحداث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها.

يأتي التنبيه على هذا الأمر لعظيم الضرر المترتب على الإخلال به حيث ابتليت الأمة بفئة ليس لها ثوابت شرعية تزن بها الأمور، والغاية من منهجها غير واضح ومعالمه مشتبهة فلا يستقيم حب آل البيت عندهم إلا ببغض الصحابة ولا تثبت فضائل علي رضي الله عنه إلا بتجريد بقية الصحابة من فضائلهم التي بوأهم الله إياها ، فعمدوا إلى تحريف التاريخ وتزوير حقائقه وصوروا ذلك الجيل الذي اختاره الله لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة انه جيل لا يفهم إلا لغة الدم.

وعمدتهم في ذلك : إما أمور مشتبهة وإما أمور مخترعة وضعوها مجاراة لاهواءهم وحقدهم الدفين .

وفي هذه القاعدة سأبين بإذن الله تعالى أحكام الاختلاف بين

الصحـابة الـكرام من خـلال جمـلة من الأصول المـبثوثة في كتب أهل العلم.

الأصـل الأول : أن الصـحـابة رضي الله عـنهم أعـلام هـدىٰ ومصـابيح دجىٰ وسـادة في العلم والتقوىٰ -وهـذا أمر تقدم تقريره- وقـد حصل لهم من الاجتهادات في الأموال والابضاع وغيرها الشيء الكـثير ، وهذا الذي جرىٰ عليه أئمة العلم من جمع الطوائف من غير نكير ، وعليه فما حصل في عهد الصحـابة من الاقـتـتال كـان من هذا البـاب -أي بـاب الاجـتهاد- فمن أنـكره لـزمه إنـكار جميع أنـواع الاجتهادات ومن قـبل من غيرهم لـزمه القـبول منهم ، فهم ارفع من كل من جاء بعدهم وأعلىٰ منزلة بنص الكـتاب وان كـان هذا لا يعني أن كل مجتهد منهم مصيب ولكن لا شك انه معذور .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وإذا كان هذا أصلهم [1]، فيقولـون : ما ذكر عن الصحـابة من السيئات كثير منه كذب وكثير منه كـانوا مجتهدين فيه ولكن لا يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم ... ولو لم يعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بـأمور لا نـعلم أنها توجـب الـنار ، فـإن هـذا لا يجوز في آحـاد

(1). (أي مع شهادتهم للصحـابة بالجنة لا يـلزم من ذلـك سلامتهم من الخطـأ والذنـب وان للذنوب الصغار والكبار مكفرات تمحىٰ بها)

المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة ، وليس لـنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلـك ، فكيف يجوز ذلـك في خيار المؤمنين ! والعـلم بتفاصيل أحـوال كـل واحد منهم بـاطـنا وظـاهرا وصفاته وسيئاته واجتهاداته أمر يتعذر علينا معرفته ، فكان كلامنا في ذلك كـلاما فيما لا نـعلمه ، والـكلام بلا عـلم حـرام ، فلـهذا كـان الإمسـاك عما شجر بين الصحـابة خيرا من الخوض في ذلـك بغير علم بحقيقة الأحوال" [1،2].

الأصل الثاني : وهو مما يوضح الأصل الأول ، أن من علم ما دل عـليه الكـتاب والسـنة من الـثناء على الصحـابـة والرضى عـنهم واستحقاقهم الجـنة وأنهم خـير هذه الأمة تيقن خيريتهم ولم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة.[3]

---

(1). (المنتقى ص233-232).

(2). (قال ابن أبي العـز الحـنـفي في عقيدة البراءة عند الرافـضة : وقوله "ولا نتبرأ من احد منهم كما فـعلت الرافـضة" فعندهم لا ولاء إلا بـبراء ، أي لا يتولى أهـل البيت حتى يتبرأ من أبي بـكر وعمر رضي الله عنهما ... وهـذا معنى قـول من قـال من السـلف : الشهادة بدعة ، يروى ذلك عن جمـاعة من السلف ، من الصحابـة والتابعين ، منهم : أبو سـعيد الخـدري ، والحـسن البصري ، وإبراهيم النخعي والضحـاك ، وغيرهم . ومعنى الشـهادة : أن يشهد على معـين من المسلمين أنـه من أهل النار ، أو انه كافر ، بدون العلم بما ختم الله له به" (شرح الطحاوية ص697).

(3). (المنتقى ص233).

الأصل الثالث : أن الحق لا يدور مع معين إلا النبي ﷺ ، لأنه لو كان كذلك لوجب أتباعه في كل ما يقول ويفعل ، وهذه دعوة لعصمة من كان هذا حاله ، وقد تقرر في الأصول الشرعية بطلان ذلك وان العصمة لا تكون إلا للنبي ﷺ . [1]

وعليه فليس كل خلاف حصل بين الصحابة رضي الله عنهم يلزم أن يحكم فيه لمعين ، بل قد يشتركان في الحق ويكون احدهما اقرب وأسعد به من الأخر كما أن الحكم لأحدهم لايعني تجريد غيره من الحق فضلا عن القول بكفره أو فسقه.

مثال هذا ما حصل بين الصحابة في فتنة الجمل وصفين ، حيث ذهبت بعض الطوائف إلى تكفير الصحابة لمخالفة علي رضي الله عنه ، وهذا باطل فهو لا ينبني على مقياس شرعي في الحكم والعدل ؛ فإن الكفر والنفاق والفسق ألفاظ شرعية لا تنطبق على الأشخاص إلا بتحقق شروطها وانتفاء موانعها ، وليس منها ولا يتحقق ذلك بمجرد مخالفة شخص معين ولو كان من الصحابة أو آل البيت.

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في بيان خطر هذه الدعوة وتصورها من جهة التأصيل : "... وكيف يسع العاقل أن يعتقد كفر

(1). (مجموع الفتاوى 255/ 4).

السواد الأعظم من أمة محمد ﷺ مع إقرارهم بالشهادتين وقبولهم شريعة محمد ﷺ من غير موجب للتكفير ، وهب أن عليا أفضل من أبي بكر رضي الله عنهما في نفس الأمر أليس القائلون بأفضلية أبي بكر معذورين لأنهم إنما قالوا بذلك لأدلة صرحت به وهم مجتهدون والمجتهد إذا اخطأ له أجر؟ فكيف يقال حينئذ بالتكفير وهو لا يكون إلا بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة عنادا كالصوم والصلاة وأما ما يفتقر إلى نظر واستدلال فلا كفر بإنكاره ..." (1).

الأصل الرابع : قد تقرر معنا فيما مضى أن الإيمان والنفاق لفظان شرعيان وردا في الكتاب والسنة ومردهما للكتاب والسنة في فهم معانيها وشروطها و انطباقها، فلا يمكن أن يخصص احد من الصحابة بأحد هذين الوصفين بغير دليل وبرهان فإن كان مقياس الإيمان محبة النبي ﷺ فمحبة النبي لم تختص بأحد الصحابة دون غيره مع إثبات التفاضل بينهم في ذلك ، وإن كان حمل الدين فأولى الناس به الخلفاء الراشدون وأمهات المؤمنين وكل من حمل راية الجهاد والعلم وإن كان مقياس النفاق بغض النبي ﷺ وما جاء به ، فهذا ولله الحمد لا يعرف عند احد ممن وصف بالصحبة ومن حيث العموم "فكل من ابغض ما يعلم أن النبي ﷺ يحبه ويواليه وأنه كان يحب النبي ﷺ ويواليه كان بغضه شعبة من شعب النفاق" وهذا يشمل جميع الصحابة.

(1). (الصواعق المحرقة ص89).

مثال ذلك: ما ذهبت إليه الرافضة من أن مبغض علي من الصحابة كافر أو مبغض احد آل البيت ، وهذا الحصر لا دليل عليه من الكتاب والسنة.

فما ذهبوا إليه من كفر الصحابة أو فسقهم بحجة أنهم يبغضون عليا أو احد آل بيته ، فضلا عن كذبه فهو باطل من جهة الحصر والتقرير فليس مبغض علي بأولى من مبغض أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسائر الصحابة رضي الله عنهم .

وفي ختام هذه القاعدة سأذكر موقف أهل السنة من اختلاف الصحابة وتوجيههم له ، ليتبين ميزان العدل والقسط قال الآمدي رحمه الله : "الواجب أن يُحسَن الظن بأصحاب الرسول وان يُكَف عما جرى بينهم وألا يُحمل شيء مما فعلوه أو قالوه إلا على وجه الخير وحسن القصد وسلامة الاعتقاد وأنه مستند إلى الاجتهاد لما استقر في الأسماع وتمهد في الطباع ووردت به الأخبار والآثار متواترة وآحاد من غرر الكتاب والسنة واتفاق الأمة على مدحهم والثناء عليهم بفضلهم مما هو في اشتهاره يغني عن إظهاره وأن أكثر ما ورد في حقهم من الأفعال الشنيعة والأمور الخارجة عن حُكم الشريعة فلا أصل لها إلا تخرصات أهل الأهواء وتصنعات الأعداء ...

وما ثبت نـقله ولا سبيل إلى الطعن فيه فما كان يسوغ فيه الاحتمال والتأويل فيه بحـال فـالواجب أن يحمل على أحـسن الاحتمالات وأن يُنـزّل على أشرف التنزيلات وإلا الكف عنه والانـقـباض منه ، وأن يعتقد أن له تأويلا لم يوصل إليه ولم يوقف عليه إذ هو الأليق بأرباب الديانات وأصحاب المروءات، واسلم من الوقوع في الزلات، ولكون سكوت الإنسان عما لا يلزمه الكلام فيه أرجى له من أن يخوض فيما لا يعنيه لا سيما إذا احتمل ذلك الزلل والوقوع بالظن والرجم بالغيب في الخطل" [1].

(1). (غاية المرام 390 / 1) ، لقد اتفقت كـلمة أهـل العـلم على المنع من الخوض فيما شجر بـين الصحابة رضي الله عنهم ، لما يترتب على ذلك من المـفـاسد العظيمة ، إلا أن هـذا الأمـر ليس على عمومه ، فقد يكون الـكلام في ذلك مطلبا شرعيا ، خـصوصا عندمـا يستغل من قـبل الطوائف المخالفة للسنة ، حـيث يعمدون إلى تشويه صورة الصحابة ، لذلك وضع أهل العلم ضوابط للكلام في هذه المسألة ، منها :

1. وجود ضرورة شرعية تستدعي الكلام في ذلك .
2. أن يكون المتكلم متسلحا بالعلم.
3. أن يبني الكلام على أصل فضل الصحابة رضي الله عنهم.
4. أن يكون الكلام بعدل وإنصاف.
5. أن لا تثار الشبهات أمام العامة أو من لا يحسن التعامل معها.

(ينظر تحقـيـق مواقف الصحـابة ص100-99، هـذه الضوابط مسـتـمدة من شـرح د.محمد إسماعيل المقدم للـكتاب المذكور . وأنظرها في اعتـقاد أهل السنة في الصحابة ، للوهيبي ص74)

القاعدة السادسة:

المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم وأحكامها:

مضت سنة الله في خلقه بالمفاضلة بين مخلوقاته، وهذه السنة لم تخص نوعا دون نوع أو فردا دون فرد.

فقد فضّل الله سبحانه الإنسان على سائر المخلوقات، فقال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الاسراء: 70]، وفضّل الله بعض بني آدم على بعض كما قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الاسراء:21]، وجعل سبحانه خير بني آدم على وجه الإطلاق الأنبياء والرسل، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الحج: 75-76]، وفضل بعض رسله عليهم الصلاة والسلام على بعض، فقال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:253] ، وعلم أن خير الرسل وسيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ ، وأجمعت الأمة على ذلك. وباعتبار أن النبي ﷺ خير الأنبياء فأمته خير الأمم قال تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:110].

وهذا الفضل يتناول الصحابة رضي الله عنهم من باب أولى فهم خير قرون الأمة والمقدمون عليها والذين تنطبق عليهم شروط خيرية الأمم أكثر ممن جاء بعدهم.

وقد فضّل الله عز وجل بعض الصحابة فقال : ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد:10].

وجاءت السنة الصحيحة الصريحة بتفضيل بعض الصحابة رضي الله عنهم بإيمانهم على بعض ، وبعضها فضل بعض جماعات الصحابة رضوان الله عليهم على جماعات أخرى منهم ، والصحابة رضي الله عنهم لهم مزيد فضل على غيرهم ، فإن فضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء ، والتفاضل بين الصحابة رضي

الله عنهم إنما يكون بالسبق إلى الإسلام ، والمسارعة إلى الميزات والمسابقة إلى الطاعات مما يؤدي إلى عظم الأجر وكثرة الثواب ورفع الدرجات وبلوغ درجة القبول والقرب عند الله تعالى.

وقد اختلف أهل العلم في حكم المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم. فأما من منع من ذلك وقالوا بالتوقيف فحجتهم أن أدلة التفضيل ظنية وإذا فضلنا بعضهم على بعض رجحنا بلا مرجح ، والتوقف هو الأسلم فليس فيه قدح بأحد منهم.

والصحيح هو ما ذهب إليه جماهير أهل العلم من تجويز ذلك ، إذ التفضيل ليس فيه إساءة لأحد من الصحابة فقد دلت عليه آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ ، وقد اجمع الصحابة رضي الله عنهم والتابعون على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على سائر الناس كذلك بعده عمر وهذا المنقول عن علي رضي الله عنه. [1]

ذكر **الأصول التي تبنى عليها هذه القاعدة:**

الأصل الأول: أن التفضيل العام لا يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح، وهذا هو الأساس في كل الفضائل.

---

(1). (الخلفاء الراشدون، د. مصطفى مراد ص868 – 870) بتصرف.

وهذا من أهم الأصول عند أهل السنة فهو ميزان العدل والقسط الذي يوزن به الناس ، وهذا الأمر متقرر في كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:13] ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد:10].

وقال ﷺ : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ، لذلك كان بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي أفضل من أبي سفيان وعقيل بن أبي طالب وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب مع أن هؤلاء أعظم نسبا. (1)

الأصل الثاني : الفضائل المشتركة لا تقتضي تفضيل أحد على غيره ، وإنما العبرة بما يتفرد به كل واحد منهم.

ومثال ذلك إعلان المحبة والتصريح بها لأحد من الصحابة رضي الله عنهم كما في حديث "لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه

(1). (كما ينبغي أن يحرر في هذا الباب ما يكون من الفضائل وما لا يكون ، مثال ذلك استخلاف النبي ﷺ أحد الصحابة على منطقة معينة كالمدينة ، فهذا لا يقتضي تفضيل كما أنه لا يختص بأحد فقد استخلف النبي ﷺ علي ابن أبي طالب وابن أم مكتوم وعثمان بن عفان وأبا لبابة بن المنذر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم) .

الله ورسوله قال -أي راوي الحديث- : فتطاولنا ، فقال النبي ﷺ : ادعوا لي عليا ، فأتاه وبه رمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ، ففتح الله على يديه . وهذا الحديث اصح ما روي لعلي من الفضائل، وليس هذا الوصف مختصا بعلي ، فإن الله ورسوله يحبان كل مؤمن تقي ، وكل مؤمن تقي يحب الله ورسوله.(1) وقد أخبر النبي ﷺ بحبه لأبي بكر وابنته عائشة رضي الله عنهما وان محبة الأنصار من الإيمان في أمثلة كثيرة.

الأصل الثالث: قد يرد في فضل بعض الصحابة رضي الله عنهم ما يدل على مزيد فضل واختصاص إلا أن هذا لا يعني التفضيل المطلق.

مثال ذلك ما ورد في فضل معاذ رضي الله عنه انه اعلم هذه الأمة بالحلال والحرام وانه يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة (2). ولا يعني تفضيل معاذ على العشرة المبشرين ومنهم الخلفاء الراشدين.

الأصل الرابع: قد يوجد في المفضول من الخصائص ما لا يوجد في الفاضل.

---

(1). (انظر منهاج السنة 44/ 5) ، حديث الراية أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ح 2783. ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ح2406.

(2). ينظر مجمع الزوائد ،كتاب المناقب ، باب في فضل جماعة من الصحابة، ح 14918، قال الهيثمي : اسناده حسن. و الرتوة هي المنزلة.

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله : "... وأما ما يقع في طبقات ابن السبكي الكبرىٰ عن بعض المتأخرين من تفضيل الحسنين من حيث أنهما بضعة فلا ينافي ذلك -أي تقديم الشيخين- ، لما قدمناه أن المفضول قد توجد فيه مزية ليست في الفاضل علىٰ أن هذا تفضيل لا يرجع لكثرة الثواب بل لمزيد شرف ، ففي ذات أولاده ﷺ من الشرف ما ليس في ذات الشيخين ولكنهما أكثر ثوابا وأعظم نفعا للمسلمين والإسلام وأخشىٰ لله واتقىٰ ممن عداهما من أولاده ﷺ فضلا عن غيرهم " [1].

الأصل الخامس: أن تفضيل صحابي علىٰ غيره إنما يكون بنفسه ، لا بغيره وما هو خارج عنه كالنسب ، وقد تقدم توضيحه فيما مضىٰ.

الأصل السادس: تفضيل صحابي علىٰ أخر لما ورد في حقه من الفضائل -خصوصا مع التقارب في ذلك- ليس من موارد التكفير.

فقد ذهبت الرافضة -قبحهم الله- إلىٰ كفر الصحابة رضي الله عنهم وعموم المسلمين لتفضيلهم الخلفاء الثلاث أبا بكر وعمر وعثمان علىٰ علي رضي الله عنهم أجمعين.

---

(1). (الصواعق المحرقة ص83).

وقـد تقرر عند المسلمين أن للإيمان أركانا ليس منها ما يتعلق بعلي ولا بـآل البيت كما تـقرر أن له نواقضا ليس منها تقديم احد الصحابة على علي رضي الله عنهم أجمعين فإن هذا افتئات على الله تعالى.

وبعد تـقرير هذه الـقواعد التي تـضبط لـنا العقـيدة في الصحـابة الـكرام فهي كما تـقدم أصل في فضائل الصحـابة كما أنها أصل في رد الشبهات عنهم سأذكر لـك أخي الـقارئ مجـمل اعتـقاد أهل السـنة في الصحابة الكرام وهذا الذي عليه عامة أهل العلم.

مجمل اعتقاد أهل السنة
في الصحابة الكرام

تقوم أصولهم على:

سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:10].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" [1]، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع، من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل على من انفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر -وكانوا ثلاثمائة وبضعة

---

(1). البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، ح3397.
ومسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، ح4610.

عشر- : "اعملوا مـا شئتم فقد غفرت لكم" [1] ، وبأنه لا يدخل الـنار أحد بـايع تحت الشجرة ، كما أخـبر بـه النبي ﷺ [2]، بل قـد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة .

ويشهدون بالجنة لمن شهد لـه رسول الله بالجنة ، كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويُـقرون بما تواتر بـه النـقل عن أمـير المؤمنين علي بن أبي طـالب -رضي الله عنه- وعن غيره ، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السـنة كانوا قـد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما -بعد اتفاقهم على تـقديم أبي بـكر وعمـر- أيهما أفـضل فـقدم قـوم عثمان وسكـتوا وربعوا بعلي وقـدم قـوم علـيا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهـل السنة على تقديم عثمان ثم علي وإن كانت هذه المسألـة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخـالف فيـها عند جمهور أهل السـنة

---

(1). البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجاسوس وقـول الله تعالى: "لا تـتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" ، ح2785. ومسلم كـتاب فـضائل الصـحابة ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم ، ح4550.

(2). مسلم ، كـتاب فضائل الصحابة ، بـاب من فـضائل أصحـاب الشـجرة وأهـل البيعة، ح4552.

لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة ، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم : "أذكركم الله في أهل بيتي" [1] ، وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال : "والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي" [2] ، وقال : "إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم" [3] ، ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية ، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال النبي ﷺ : "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" [4] ،

---

(1). مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح4425.

(2). فضائل الصحابة للإمام احمد 2/ 917 ، ح1756.

(3). المسند للإمام احمد ، ح 17028، قال الشيخ شعيب : حديث صحيح دون قوله : "اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل".

(4). البخاري ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ، ح 3485.

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زِيدَ فيه ونُقص وغُيّر عن وجهه. والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر حتى إنهم يُغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وأن المُد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غُفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتُلي ببلاء في الدنيا كُفّر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور.

ثم القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نَزْرٌ مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل عَلِمَ يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله" (1).

(1). ينظر: الواسطية لشيخ الإسلام، ضمن مجموع الفتاوى 3/ 87، الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة 408-368/ 1، السنة للخلال 516-269/ 1، السُنة لعبد الله ابن الإمام أحمد221-159/ 2، الإبانة لأبي الحسن الأشعري 261-251، العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي 356-273، شرح أصول اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم اللالكائي 1540-1310/ 7، الشريعة للآجري 530.

الفهرس